عمر مصطفى داهش
جريمة
زهرة الجوري
رواية

مقدمة

قست عليها الحياة، دمرتها الظروف، جعلها الفقدان شخصًا آخر، زُرعت البغضاء في قلبها، أصبحت تكره الجميع بسبب شخص واحد، فقدت أعز شخص لديها وهي لم تكمل معه عامًا واحد، كَثُر الأعداء، يزدادون يومًا بعد يوم، حفلة ضخمة، مشاجرة ضخمة، وجثة.

إهداء إلى .....

- من يدعم ويشجع، من يساند، من صوته هو من يجعلك تتقدم.

- إلى عزيزتي " جاسي " لقد تحملتي كثيرًا من المعاناة في هذه القصة، لكن سامحيني إنه لزوم الحبكة.

الفصل الأول (قد أتى الوحش)

الجميع في حالة ذعر في تلك المدرسة، الأقدام تركض في كل ناحية، بعد أقل من ساعة سوف يصل الوحش الكبير الَّذي يهابه الجميع، بعد انقطاع دام ثلاثة أشهر كانت تمكث بجوار أختها في دولة البرتغال، اقتربت الساعة من العاشرة صباحًا، خيَّم السكون والصمت على المدرسة بعد أن كانت تضج بأصوات الفتيات والمعلمين، على بعد أميال تأتي سيارة السيدة " كارمليتا " تلك المرأة المعتوهة، صاحبة الخمسة وخمسين عامًا، امرأة فظة ووقحة ولا يستطيع أحد أن يجابه فظاظتها ووقاحتها، امرأة تحقد على كل من تراه وخاصة لو رأت اثنين يصفو الحب بينهما، حينها قد وكلت نفسها مهمة تعكير صفو هذا الحب وتدميره، ربما هذا بسبب ما

فرضته عليها الحياة، ربما متاعب ومصاعب الحياة من جعلتها هكذا، ولكن الشخص القوي الشكيمة والإرادة لا تستطيع الحياة أن تؤثر عليه، تجلس في سيارتها وكأنها أحد أعيان الدولة.

لنعود بنا إلى ما قبل خمسة وخمسين عامًا، لنرى ما الَّذي فعلته الحياة في " كارمليتا " كيف جعلتها بغيضة وحقودة إلى تلك الدرجة.

وُلدت كارمليتا في إسبانيا في عائلة من الطبقة الدنيا، كانت كارمليتا فتاة شقراء ذات عينين زرقاوتين، كانت تُعد الابنة الرابعة لعائلة " جارسي " كان أبوها رجل جاهل، يتمنى أن يكون لديه ابن من الذكور، وكذلك كانت أمها تمقت الإناث رغم أنها أنثى، كان " براندون جارسي " والد كارمليتا يعاملها كأنها ذكر، يأخذها معه إلى العمل في التجارة، يلبسها مثل الفتيان،

وبالطبع كان كل هذا بأمر من أمها " فلورينداجارسي " تلك المرأة المتغطرسة المتحكمة الجعشة الَّتي تضع المال نصب عينيها، إذا سألها أحدهم عن دورها في الحياة ستجيب بصوتها الخشن المبحوح الَّذي يشبه صوت الرجال وستقول:

- جني المال.

وإذا سألها أحدهم ماذا تفضلين في هذه الحياة، ستجيب بنفس الصوت المبحوح الخشن:

- المال ثم المال ثم المال.

كان " براندون جارسي " رجل ضعيف الشخصية مُنصاع لأوامر زوجته أي شيئ تقوله يرد ويقول:

- سمعًا وطاعًا يا زوجتي العزيزة.

تبًا لهؤلاء الرجال.

يفعل ذلك بصدر رحب؛ لأنه إن لم يفعل ذلك سيسمع من السب والشتم والصراخ ما يكفيه حتى يشبع، وربما قد يُقذف بعصا أو بحذاء أحدهم.

كل ما كان يخفف عن كارمليتا هو أزهار الجوري، تلك الأزهار الوردية الَّتي تمتص غضبها وتمنحها السعادة والفرح، وهو الشيئ الوحيد الَّذي تظل متمسكة به، ورثت كارمليتا بعض الجينات من والدتها ومن الظروف الَّتي عانتها، مثل الصراخ والسب والقذف، وأهمها العناد وفعل عكس ما يقوله الآخرون.

كان من قوانين والدتها " فلورينداجارسي " عدم الإهتمام بالتعليم، كانت ترى أن من واجب الفتاة أن تُسخر نفسها لمنزلها، وخدمة زوجها، وإن لم ترض بذلك تخرج وتعمل في الأعمال القاسية مثل الرجال لتجني المال، وإلا تتزوج.

كانت أخوات كارمليتا يتم تزويجهم حالما يبلغوا الرابعة عشر من عمرهم، لأن السيدة فلورينداتريد جني المال أكثر لا تريد الإنفاق على أحد، بدأت كارمليتا في التعليم؛ بجانب علمها بقوانين أمها الصارمة، إلا أن الممنوع مرغوب، كانت تجذبها الكتب والأوراق، تجذبها الكلمات والحروف، تروق لها السطور.

بعد أن تزوجت أخواتها الثلاثة، توقف والدها عن العمل بل وأصبح يتعاطى الخمور ويدمنها، أصبحت هي المسؤولة عن المنزل، قد تخطت قوانين الزواج عند والدتها وبلغت من العمر سبعة عشر عامًا؛ ولكن "

فلوريندا جارسي" قد استثنتها من قوانينها طالما لديها منفعة منها، وهذا كان يروق لها؛ لأنها أرادت أن تكمل تعليمها، كانت تنهي عملها قرب المغيب ولكن لا تعود إلا قرب منتصف الليل حيث تذهب إلى إحدى المدارس الليلية وتخبر والديها أنها كانت في العمل، وتستيقظ في اليوم التالي لتذهب إلى العمل مجددًا، كانت تبغض كل أطفال الجيران، الَّذين تراهم يلعبون بينما هي تكون عائدة من العمل، بدأ ذلك البغض والكراهية يزداد يومًا بعد يوم لكل إنسان تراه، حتى أنها في ذات يوم انتزعت بعض الدمى من بعض الفتيات في الشارع وأحرقتها أمامهم، لتحرق قلوبهم، لم تكن تملك أصدقاء، لا أحد صديقها سوى زهرة الجوري الوردية، الَّتي تضعها بجانب مكان نومها، وتخبرها عما يدور بمكنونها وبداخلها.

حتى أتى ذلك اليوم الموعود، الَّذي كان من المفترض أن يكون أفضل يوم بالنسبة لها، عندما وصل إلى منزلها مرسوم من البلدية يدعوها إلى حفل

تكريم بمناسبة اجتهادها، وعندما رأت أمها المرسوم انفجر الغضب من أذنيها وكأن بركان يدور في عقلها، وكأن دخان يخرج من أذنيها وأنفها، حبستها في المنزل، بل وزوجتها بعدها بثلاث أيام فقط، زوجتها لرجل غني بعض الشيئ يكبرها بأربعة عشر عامًا، كان حفل الزفاف بسيطًا، لم يكن هناك الكثير من المدعوين، بسبب كره الناس لأمها وأبيها، كان الشاب وسيمًا وملامحه هادئة كان يُدعى " رامون " عرفت بعد ذلك أنه فقد والديه وهو صغير وأنه وحيد ليس لديه إخوة، وأن والده كان غني وثري وترك له أمواله، وهو محافظ على أموال والده.

مضى خمسة شهور كانت من أجمل خمسة شهور في حياتها، كان يعاملها بكل لطف، كان يحبها كثيرًا، وهي أيضًا كانت تحبه، سمح لها بإكمال مسيرتها التعليمية وتوظفت بإحدى المدارس، حتى أنه أصبح يُتيَّم بزهور الجوري بسببها، أتى ذلك اليوم حينما كان يذهب إلى عمله، وقف قبالتها وكان يضع كلتا يديه خلف ظهره، سألته والإبتسامة تشق وجهها:

- ماذا تخفي عني؟

أظهر يده وإذا به كان يمسك بثلاثة من الزهور الحمراء، أعطاها لها وانصرف إلى عمله، ابتسمت؛ لأنها تعلم أنه يمزح معها؛ لأنه يعلم أنها لا تحب سوى أزهار الجوري.

وبعد مرور سويعات قليلة أتاها خبر موته، كان ذلك أسوء يوم في حياتها، انقطع آخر ما كان يجعلها تتمسك بالحياة، تلاشت آخر ذرة رحمة في قلبها، تبدد إعصار الحب وغابت رياح المودة، اشتعلت نيران البغضاء في قلبها، أصبحت منذ ذلك اليوم امرأة لا تُطاق، امرأة تكره الجميع ويكرهها الجميع، عملت بالتدريس، أصبح كلامها مثل السم والعلقم، ولسانها مثل المبرد، كان يطلق عليها ذات اللسانين، اصبحت سليطة

اللسان واليد، يخشى الجميع الاقتراب منها، يهابها الجميع، لم يبقى منها من طفولتها سوى حبها لأزهار الجوري تزرعها في كل مكان، في كل ركن في منزلها، في حديقتها، قامت بشراء مدرسة خاصة بأموال زوجها، اشترت المدرسة لها وحدها وأصبحت المديرة، احتاجت ذات يوم إلى بعض الأموال فاضطرت إلى بيع نصف الأسهم الخاصة بالمدرسة إلى رجل وزوجته، تكرههم كل الكره، تشعر أنهم يعرقلونها في كل ما تفعله، حاولت أكثر من مرة بإعادة شراء الأسهم الخاصة بها منهم وكانت ستدفع خمسة أمثال ما دفعوه ولكنه باء بالفشل، كانت المرأة وزوجها يرفضون، وخاصةً المرأة، كانت المدرسة للفتيات والفتيان في المرحلة الثانوية، كانت المدرسة مثل سجن للمعلمين والطلاب، تضع كلمات مثل القانون، وبما أنها المدرسة الوحيدة في تلك القرية، فكان أهل القرية لا يستطيعون خلع أبنائهم منها، كانت ترى دائمًا أنا شريكها السيد " بريان لوبيز " وزوجته الأفعى " ألمى لوبيز " هم من يعرقلون قوانينها ويحتجون بأن لهم نصف المدرسة، كانت عندما تمر في مدرسة " رامون " المدرسة الخاصة بها،

والَّتي أسمتها كنية لزوجها، يرتعب كل من يراها سواء أكانوا معلمين أو طلاب، يختبأ الجميع، كانت بدينة قليلًا، شعرها الأصفر اجتاحه الشيب، اللون الأبيض اكتساه، عيناها الزرقاوتان تقطران حقدًا وغيرة وخاصة على السيد بريان وزوجته ألمى.

في ذات يوم وصل لها بريد من أختها الكبرى أنها مريضة وتطلبها عندها، كانت أختها تعيش بدولة البرتغال، فسافرت وتركت المدرسة لثلاثة أشهر وهي الآن في طريقها إلى المدرسة مجددًا، مع أنها قد نزلت من الطائرة للتو، ولم تمر بمنزلها ولكنها تقصد المدرسة أولًا.

الفصل الثاني (كره، بغضاء، وما إلى ذلك)

" تُداوى الجروح مع الزمن ولكنها لا تعود كما ولدت، بل تترك أثرًا؛ ليذكرك بما حدث طيلة الوقت "

المدرسة يعبقها الهدوء وكأنها مهجورة منذ سنين، لا يوجد سوى صوت همهمات المعلمات والمعلمين في الفصول، تسير في رواق المدرسة وكأنها إحدى الملكات، خلفها تسير مساعدتها " جاسي " وكأنها الحرس الخاص بها، توقفت فجأة وكانت قد وصلت للساحة الخاصة بالمدرسة، ، نظرت بإشمئزاز، ظهرت تجاعيد على وجهها وجفونها المضمومة، أنفها أصبح معقود، عيناها الزرقاوتان أصبحت ضيقتان، طويت شفتيها بقرف وقالت بنبرة مقززة ومتقززة وكلمات يقطعها الغثيان، موجهة كلامها إلى " جاسي " وصرخت فيها قائلةً :

- جاسي!

- نعم يا سيدتي.

- لماذا أصبحت ساحة المدرسة وكأنها حظيرة للبقر؟ ألا يُنظف العمال هنا؟

ثم تحولت نبرة صوتها إلى نبرة صوت مرتفعة وساخطة وغاضبة، وقالت بصراخ:

- أين أزهار الجوري الَّتي كانت تملأ المكان؟ من استبدلها بتلك الزهور الصفراء المقززة؟

أجابت جاسي بنبرة صوت خافتة وخائفة:

- لقد استبدلتها السيدة " ألمى " .

تجهم وجهها وتصلب جسدها وكادت الدماء تغلي بداخلها، وكشفت شفتاها الورديتان عن أسنان بيضاء مكشرة، ثم توجهت وأمسكت بياقة جاسي وهزتها بعنف وصرخت في وجهها بقوة وقالت:

- وأنتِ لماذا لم تمنعيها؟ أليست تلك وظيفتك؟ ألا تتقاضين مالًا على هذا؟ أيتها الخرقاء الشمطاء.

ودفعتها بقوة حتى سقطت أرضًا، ثم توجهت مسرعة إلى الطابق العلوي حيث تقع غرفة المكتب الخاصة بألمى، فتحت الباب بقوة وبسرعة وبينما كانت المساعدة الخاصة بألمى تحاول منعها فدفعتها هي الأخرى فسقطت أرضًا.

كانت ألمى تقيم اجتماع خاص بأولياء أمور الطلبة، نهضت ألمى من مكانها متفاجأة، بينما ذُعر أولياء الأمور وتوجهت نظراتهم للسيدة " كارمليتا " الَّتي أصبح وجهها مثل حبة الطماطم.

كانت " ألمى " امرأة قد تجاوزت عامها الثلاثين، لكنها كانت جميلة جدًا، جميلة بشكل لا يوصف.

صرخت ألمى بقوة في وجهها وقالت:

- ماذا دهاك تفعلين؟ كيف تجرئين على الدخول إلى الغرفة بتلك الطريقة؟

وقفت كارمليتا في وجهها مباشرةً وصرخت في وجهها وقالت:

- بل أنتِ كيف تجرئين على تغيير قوانيني في مدرستي؟ مدرستي منذ ثلاثين عامًا أو أكثر، كيف تجرئين على تغييرها؟

نظرت " ألمى " لها نظرة ازدرائية، وابتسمت " ألمى " ابتسامة على جانب وجهها بخبث ، ورفعت إحدى حاجبيها ، وضحكت بقوة، بل وبدأت تقهقه وقالت بنبرة لاذعة وساخرة :

- كان هذا قبل سنوات يا حلوتي الآن أصبحت أملك مثل ما تملكين في هذه المدرسة، النصف بالنصف.

اقتربت منها كارمليتا أكثر وقالت:

- ولكنك تعرفين أنتِ وزوجك أنني أعشق زهور الجوري وأن لا أحد يستطيع خلعها.

زمت ألمى شفتيها وقالت:

- إنكِ مريضة بتلك الأزهار، وتظنين أنها ما يخفف عنكِ أو أنها إحدى أقربائك، أنتِ ستظلين وحيدة ومنبوذة طيلة حياتك، لا أحد يحبكِ ولا أحد سيحبكِ، يا مريضة زهور الجوري.

لم تدري كارمليتا بنفسها عندما رفعت يدها وضربتها على وجهها بقوة.

علت همهمات أولياء الأمور، منهم من وضع يده على فمه ومنهم من فغر فاه من الصدمة، نظرات الجميع تشمل الحيرة وعدم التصديق.

انصرفت " كارمليتا " من الغرفة مسرعة وتوجهت إلى غرفتها.

بينما ظلت " ألمى " ساكنة من أثر الصدمة أو من أثر الصفعة أيهما أقرب.

دخلت " كارمليتا " الغرفة وفور دخولها ذُهلت وتوسعت حدقتي عينيها وصرخت قائلة:

- جاسي!

دخلت جاسي الغرفة مسرعة وهي تهرول وقالت:

- نعم يا سيدتي، هل حدث شيء سيء؟

- لماذا ذبلت جميع أزهار الجوري في الغرفة؟

- إن المزارع الخاص بالمدرسة قد مات، وأنتِ لم توظفي واحدًا آخر قبل أن تذهبي.

- ليس لي دخل إذا مات أو إذا احترق في الجحيم، ماذا كنتِ تفعلين أنتِ طيلة هذا الوقت؟

- ولكن هذه ليس وظيفتي.

- طالما هناك شيئ لا أحد يعمل به ستعملين به أيتها الحمقاء الخرقاء.

توجهت كارمليتا ناحية النافذة المطلة على الساحة وقالت:

- سأعيد تعمير الساحة بزهور الجوري، سنزيل تلك الأزهار الصفراء المقززة مثل صاحبتها، " ألمى " أيتها البلهاء لتحضري لي أمهر المزارعين الَّذين تعرفيهم.

طفح الكيل بجاسي حتى أنها كادت أن تنفجر من التذمر والإهانة، أمسكت بأقرب شيئ لها والَّذي كان مقص للزهور، وكادت أن تهوى به على رأسها؛ لتهشمه، لكن منعها صوت طرقات باب الغرفة؛ صرخت كارمليتا وقالت:

- جاسي، ألا تسمعين صوت الباب، هيا أدخليه.

خرجت جاسي ودخلت امرأة في العقد الرابع من عمرها تنظر بإزدراء وقالت:

- هل أنتِ مديرة المدرسة؟ السيدة كارمليتا؟

كانت المرأة سوداء الشعر بدينة قليلا ترتدي جيبة سوداء وقميص أسود وكأنها قادمة لجنازة، ذات بشرة بيضاء وعينين تميلان إلى السواد.

ردت عليها كارمليتا وقالت بكل فخر:

- نعم هي أنا، أنا كارمليتا يمال صاحبة هذه المدرسة ، مدرسة رامون، من أنتِ إذًا؟

ردت المرأة بوجه ممتعض وقالت:

- أنا " كانديلا نيجوس " والدة الطالب " براندون نيجوس " .

- هل ابنكِ اسمه براندون أيضًا؟ إنني أكره هذا الاسم وأمقته بشدة؛ لأنه يذكرني بشخص لا شخصية له، معدوم الشخصية، جعلني أعاني طيلة حياتي.

- لست مهتمة بكلامك، إنني أريد سحب الأوراق الخاصة بابني من هذه المدرسة؛ لأن هذه المدرسة لا يوجد بها تعليم جيد حتى أنكِ سببتِ للطلاب رعبًا كبيرًا.

- يعني أنكِ تريدين أخذ أوراق ابنكِ؟ لأنني السبب، بل وتهينيني في مكتبي وفي مدرستي وعلاوة على ذلك ابنكِ اسمه براندون، حسنًا، سأعطيكِ أوراق ابنكِ، ولكن .....

- ولكن ماذا؟

- لن تجدي أي مدرسة تقبله، لأنني سأعطيكِ أوراقه ولكن على هيئة طالب مفصول من المدرسة ليس طالب انتقل بإرادته الحرة، وسأكتب أنه طالب مشاغب ويسب بأبشع الألفاظ، هل مازلتِ تريدين الملف؟

اصطبغ وجه " كانديلا نيجوس " بكل الألوان، بدأت تصك فكيها ببعضهم من الغضب، كادت عينيها تخرج من محجريهما، كادت ستفتك بكارمليتا في أية لحظة.

نطقت وقالت بجملة واحدة:

- ستندمين يا كارمليتا، ستندمين أشد الندم.

صرخت كارمليتا وقالت:

- جاسي.

دخلت جاسي الغرفة مسرعة وقالت:

- نعم يا سيدتي .

- لتصحبي السيدة " كانديلا نيجوس" إلى خارج المدرسة، وإن كانت تريد رؤية ابنها قبل خروجها، فهذا ممنوع.

الفصل الثالث (حفلة! حفلة! حفلة!)

" لا تختفي مشكلاتنا بل نحن نتجاهلها لكي نخفف من ألمها علينا ومن التفكير فيها، نفعل ذلك؛ لأننا ضعفاء بينما الواجب علينا هو مواجهتها والتخلص منها إلى الأبد "

صرخت صرخة بددت الهدوء الَّذي كان يعم أروقة المدرسة، هلع الجميع لصرختها، حتى الطيور الَّتي كانت تجلس في أعشاشها بأشجار الحديقة هلعت وتركت مكانها، لم تتوقف بل أتبعتها بصرخة أخرى وهي تقول :

- جاسي.

دخلت " جاسي " غرفة مكتبها وقد بدى عليها الخوف والهلع وكأنها رأت ملك الموت أمامها، ردت " جاسي " وقالت بنبرة يزينها الغضب والانفعال:

- نعم يا سيدتي.

ردت عليها بصوتٍ أعلى من الَّذي كان وقالت:

- أنادي عليكِ منذ ساعة، هل نسيتِ أن اسمك جاسي؟ أو أنكِ تذكرتِ للتو أن هذا صوتي؟

همهمت جاسي في نفسها ببعض السبات وقالت:

- ليتني نسيتُ أن اسمي جاسي.

- ماذا تهمهمين بينكِ وبين نفسكِ أيتها الشمطاء الحثالة؟

- لا أهمهم بشيئ يا سيدة " كارمليتا " .

- هل كل شيئ جاهز من أجل الحفلة، إن الحفل ليلة غد وهناك الكثير من المدعوين لا أريد أي شيئ ناقص، هل سمعتي؟

- نعم يا سيدتي سمعتُ، وكل شيئ على أكمل وجه، وتمت إرسال دعوات إلى جميع أولياء الأمور، وإلى جميع من ذَكرتِ أسمائهم.

- لو وجدتُ أي شيء ناقص سأحاسبكِ حسابًا عسيرًا، هل سمعتي؟

- سمعتُ يا سيدتي.

- هيا انصرفي.

خرجت " جاسي " من الغرفة ودخل خلفها السيد " بريان لوبيز " شريك السيدة " كارمليتا " وزوج السيدة " ألمى " ، كان السيد " بريان " رجل في نهاية عقده الرابع، متوسط الطول، أصلع الرأس دون جانبي رأسه الَّذان كانا يكسوهما الشعر الأبيض، يرتدي بذلة رسمية سوداء، وربطة عنق زرقاء مزركشة بالأبيض، كانا حاجبيه معقودان وزراعاه متصلبان، وشفتيه مضمومتان تدلان على الغضب وأعين يكسوها شرارات الغضب، وقال بصوت عالٍ :

- أغيبُ شهرًا واحدًا عن المدرسة تفعلين كل هذا، تقلبين كل شيئ رأسًا على عقب، بل وتصفعين زوجتي أمام جميع الأناس.

نهضت " كارمليتا " من على كرسي المكتب الخاص بها ووقفت قبالة وجهه وقالت له:

- زوجتك معدومة الأدب والحياء، هي من أهانتني أولًا، وهي تستحق الصفعة، ولو كان بمقدوري لكنت أعطيتها واحدة أو اثنتين آخرتين.

- إنكِ امرأة معدومة التربية.

- إنتبه على كلماتك سيد " بريان " وتحكم بلسانك، وإلا فعلت بك أسوأ ما فعلته بزوجتك.

- وما الَّذي ستفعلينه غدًا؟ لماذا تقومين بصنع حفلة؟ لماذا لا تأخذين رأيي أو رأي زوجتي؟ ألست شريكِي؟ ألست أملك مثلكِ تمامًا في هذه المدرسة؟

- لقد أكمل مشروعي عامه الثلاثين، ومن حقي أن أحتفل به.

- ولكنه لم يعد مشروعكِ لوحدكِ، إنني أملك فيه مثل ما تملكين تمامًا.

- لقد عرضتُ عليك المغادرة وبمقابل أكبر خمسة أضعاف مما دفعته؛ لكنك رفضت، إذن لتتحمل نتيجة رفضك.

- بل أنتِ لتتحملين ما سأفعله بكِ يا سيدة " جارسي " ، ستقعين في شر أعمالكِ.

خرج وأغلق الباب خلفه بقوة.

فصرخت بقوة وقالت:

- جاسي.

****

مع نسمات الفجر الهادئة كان المكان يعبقه السكون، استيقظ المحقق مسلم وأدى صلاة الفجر، قد أداها في غرفته بالفندق؛ لأنه ليس في دولته، بل في دولة غير مسلمة، وكان أقرب مسجد يبعد عنه بخمسة أميال؛ لذلك أدى صلاته بغرفته في الفندق، قضى الوقت بقراءة القرءان حتى طلع

الصباح، قاربت الساعة على العاشرة صباحًا، سمع صوت طرقات على الباب، كانت تلك الطرقات لصديقه المحقق الإسباني المشهور الموهوب " سيزار مارتن " ، وهو نفسه الَّذي طلب منه الحضور إلى إسبانيا؛ ليجدد الهواء الَّذي يتنفسه وليستمتع قليلًا.

فتح مسلم الباب فوجد صديقه الَّذي سأله سؤالًا فور رؤيته وقال:

- هل نمت نومًا جيدًا الليلة الماضية؟

أومأ مسلم وقال:

- نعم، إن دولتكم جميلة وهادئة، لم أتوقعها بهذا الهدوء، ظننتها مزدحمة.

دخل وجلس على مقعد بينما أعد له مسلم كوبًا من القهوة الَّتي اشتراها من الماركت.

دخل مسلم وهو يحمل أقداح القهوة وقال بنبرات واثقة وعالية وكلمات منمقة بعناية :

- سأجعلك تتذوق طعم القهوة المُعدة بطريقة مصرية وأيدي مصرية.

قهقه " سيزار مارتن " بصوت عالٍ وقال :

- سنتذوق ونرى.

- إلى أين ستأخذني اليوم؟ لقد تبقى إسبوع واحد فقط وتنتهي إجازتي وأعود إلى عملي.

- لا اليوم يومٌ مميز، فاليوم في هذا الفندق ستُقام حفلة كبيرة لإحدى المدارس الكبيرة في القرى المجاورة، ستكون تلك الحفلة بمناسبة إكمال المدرسة عامها الثلاثين، وصاحبتها السيدة " كارمليتا جارسي " قد دعتني إليها، سآخذك معي؛ لتتعرف على إحدى مدارسنا المتميزة، وترى الأطفال الصغار؛ لربما تستعيد ذكريات طفولتك في المدرسة.

- ألا توجد قضية هنا أو هناك؟ ألا توجد جريمة قتل؟ سرقة، اختطاف، تجارة أعضاء، مواد ممنوعة، ألا يوجد أي شيئ نحقق به؟

ظل " سيزار مارتن" يضحك ويقهقه بصوتٍ عالٍ، ثم أردف وقال:

- للأسف لا يوجد، لقد اتعظ المجرمون هذه الأيام، هل ستمضي كل حياتك في الجريمة والتحقيق، إنني أشعر بالملل أحيانًا، دائمًا جرائم وجثث وموتى.

أتبع مسلم وقال:

- إن المحقق كالضوء الَّذي يُسلط على الحقيقة، هو من يكشف الحقيقة على مصرعيها.

- أعلم كل هذا، ولكنه حب البدايات.

الفصل الرابع (جثة! جثة! جثة!)

غدا القمر منيرًا يسطُع ويتوهج وكأنه قطعة ألماس، النجوم في السماء لوامع كأنها درٌر نثرت على بساط أزرق، في ذلك الفندق من بعيد تتلألأ الأضواء وتسطع، صوت الموسيقى يعم المكان ويهز أرجاء الفندق، الزينة في كل مكان، وبالطبع أزهار الجوري الَّتي تزين المكان بلونها الوردي الزاهٍ، عشرات المدعوين رجال ونساء والأطفال والمراهقين من طلاب المدرسة، تقف السيدة " كارمليتا " على باب القاعة تستقبل المدعوين، ترتدي فستان وردي مزركش بأزهار الجوري الوردية، تضع مساحيق

التجميل، مصففة شعرها، من يراها يظن أنها طالبة من المدرسة في السادسة عشر من عمرها.

حالما رأته توجهت ناحيته ومدت يدها لمصافحته وقالت بنبرة يعتريها التشوق:

- حللت أهلًا ووطئت سهلًا يا سيد " سيزار مارتن " .

صافحها بكل محبة وقال:

- شكرًا جزيلًا لكِ يا سيدة " جارسي ".

صرخت وقالت:

- جاسي .

هرولت الفتاة النحيلة ناحيتها بسرعة وقالت:

- نعم يا سيدتي.

- هل أكرمتِ السيد " مارتن " ؟

- سأفعل يا سيدتي.

- هل مازلتِ تتحدثين أيتها البلهاء، هيا أسرعي.

نظرت لها " جاسي " نظرة تقطر حقدًا، ثم انصرفت.

توجهت نظرات " كارمليتا " نحو " مسلم " الَّذي كان يقف يحدق بكل المدعوين كطبيعة المحققين، أتبعت وقالت:

- من هذا الوسيم؟

نظر " سيزار مارتن " إلى " مسلم " ثم ابتسم وقال:

- إنه صديقي المحقق مسلم من دولة مصر، لقد دعوته إلى هنا؛ كي يستمتع قليلًا.

مدت " كارمليتا جارسي " يدها لتصافح " مسلم " وهي تقول :

- تشرفنا بك أيها المحقق.

نظر مسلم إلى " سيزار " الَّذي قاطعها وقال:

- إن ديانته الإسلام، وهم لا يصافحون النساء إلا الَّتي تحل لهم.

أعادت " كارمليتا " يدها وقالت وهي تبتسم :

- أتفهم ذلك، حللتم أهلًا إذا احتجتم إلى شيئ يكفي أن تطلبوا مني.

انصرفت " كارمليتا " بينما زمَّ مسلم شفتيه وقال:

- إنها إمرأة متصنعة، تخفي تجاعيد وجهها باستخدام مستحضرات ومساحيق التجميل، ولكن تجاعيد يدها تكشف عمرها، تدل على أنها في الخمسين من عمرها.

قهقه " سيزار" عاليًا، ثم قال :

- لا وقت للتركيز في هذه الأشياء، هيا لنأكل شيئًا قبل أن ينتهي الطعام.

- لا فلتذهب أنت، فأنا أريد معرفة المزيد عن " كارمليتا جارسي"، أريد أن أعرف لماذا ينظر لها الجميع نظرة بغضاء، لقد نظرت لها مساعدتها نظرة مليئة بنيران الغضب.

- يبدو أنك لن ترتاح حتى تحقق وراء شيئ، أما أنا فعصافير بطني تزقزق، يجب عليَّ إسكاتها.

" ينبت الحقد في تربة القلب حالما تفتقر إلى ضوء المحبة والود، وإذا لم نسرع بسقيها بماء الحب؛ فسوف تكون التربة حقدًا فقط. "

توجهت " كارمليتا جارسي " ناحية شخص صُدمت برؤيته، وكان هذا الشخص هي " كانديلا نيجوس " تلك المرأة المستفزة، كانت تلك المرأة ترتدي فستان من القطن والقماش الأسود، يبدو أنها لا تردي سوى الأسود، امرأة كئيبة.

ضحكت " كارمليتا " بصوتٍ عالٍ وقالت:

- ما الَّذي أتى بكِ يا سيدة نيجوس؟ ألم تكوني تكرهين مدرستي؟ ألم أكن أرعب الأطفال؟

وضعت كانديلا كفيها على كتفي " كارمليتا " وقالت بنبرة يسودها التهديد:

- إبتعدي عني يا سيدة جارسي، وإلا.....

صرخت " كارمليتا" بقوة مما جذب إنتباه جميع من بالحفل وقالت:

- وإلا ماذا يا سيدة نيجوس، هل ستقتلينني؟

حاولت " كانديلا نيجوس" الابتعاد عنها ولكنها مسكت معصمها بقوة حتى كادت خلعه وقالت:

- إلى أين تذهبين يا سيدة نيجوس؟

وفجأة ووسط كل تلك الأعين المراقبة، دخلت " ألمى لوبيز " زوجة " بريان لوبيز " وسحبت يد كارمليتا عن معصم " كانديلا " ودفعت كارمليتا للوراء وصرخت فيها قائلة:

- يجب أن يوقفكِ أحد عند حدك أيتها القذرة.

رفعت كارمليتا يدها وهوت بقوة على وجه " ألمى " مما جعل الجميع في حيرة أكبر، أسرع " سيزار مارتن" ومسلم بالتدخل لفض هذا النزاع وقد نجحا، بينما كان " بريان لوبيز " يفور كالبركان، ويريد أن يرد لها الصفعة، كان " بريان " يرتدي بذلة سوداء يفتح الجاكيت كاشفًا عن قميصه الأبيض، نجح " سيزار مارتن" بامتصاص غضبه بالكامل، كانت

" كارمليتا " تجلس في ركن بعيد عن الجميع وكانت تبتسم ابتسامة شريرة وصرخت قائلة:

- جاسي.

توجهت جاسي ناحيتها وقالت لها :

- ليتم طرد ثلاثتهم من الحفلة.

- كان هذا بودي ولكنهم يعدون شركاء في الحفل.

- ليتم طرد تلك المدعوة " كانديلا " .

- كان هذا بودي أيضًا ولكن ألمى تضعها تحت كنفها .

- أريدكِ أن تغربي من وجهي أيتها المعتوهة، وأنا أعرف ماذا سأفعله بهم .

توجهت كارمليتا ناحية المسرح وصعدت عليه وامسكت مكبر الصوت وقالت بصوت عالٍ :

- يشرفني أن أقدم لكم نفسي، أنا السيدة " كارمليتا جارسي" مؤسسة هذه المدرسة، مدرسة مارتن، واليوم أكملت مدرستي ومشروعي العزيز ثلاثين عامًا.

صعد " بريان لوبيز" على المسرح بجوارها وسحب مكبر صوت آخر وقطعها وقال:

- ويشرفني أنا أقدم لكم نفسي أنا أيضًا، أنا " بريان لوبيز " الشريك الرسمي في هذه المدرسة، صحيحٌ أنني لم أمض سوى خمسة أعوام هنا ولكن أصبحت المدرسة بيتي الثاني.

صرخت كارمليتا بأعلى صوتها وقالت :

- جاسي.

- نعم يا سيدتي.

- أحضري المقص الذهبي؛ سأقص الشريط الأحمر.

صعدت جاسي إلى المنصة ووقفت بجوار السيد " بريان لوبيز " ، بينما وقفت " كارمليتا جارسي " قبالتهم، وأوشكت أن تقص الشريط الأحمر حتى قطعها " بريان لوبيز " وقال :

- قبل كل شيء أريد أن أوجه تكريم خاص لأحد الأشخاص هنا، وهو السيدة " كانديلا نيجوس" هلا تصعدين على المنصة.

بدأت عينا كارمليتا تضيقان تدريجًا، بدأت تصك على أسنانها من الغيظ، كان مسلم يترقب كل هذا بينما ذهب " سيزار مارتن " إلى الحمام.

صعدت " كانديلا نيجوس " على المنصة وكأنها صاعدة لاستلام جائزة نوبل للسلام ووقفت بين بريان وبين جاسي قبالة كارمليتا، نطق بريان وقال :

- أريد شكر السيدة نيجوس على تحملها الوقاحة الَّتي حدثت لها.

كان مسلم يشعر أن هناك شيئ ليس مضبوطًا، كان يشعر أن هناك شيئ خاطئ.

انقطع تيار الكهرباء فجأة، هرع الجميع والحشد، بدا الجميع بالهمهمة والصراخ، فتش مسلم عن هاتفه ليشعل المصباح فتذكر أنهم يأخذون الهواتف عند دخول القاعة، صوت طلق ناري دوى فجأة، ثم أتبعه صوت طلق ناري آخر، هرع الجميع، أصوات الصراخ والمراخ بدأت تنتشر، أتى أحدهم بمصباح فسحبه مسلم بسرعة من يدة وتوجه إلى الأسفل حيث توجد غرفة التحكم بالكهرباء، وكان ما توقعه صحيح، إنها جريمة مدبرة، مفتاح الكهرباء مغلق، أشعله، ليسمع أصوات الصراخ تعم القاعة، خرج مسرعًا وقابل في طريقه " سيزار مارتن " وشرح له ما حدث في بضع كلمات.

دخل القاعة، كانت النساء خائفة مرتعدة، بعضهن يضعن أيديهن على أفواههن، الأطفال في حالة ذعر، والجميع احرنجم أمام المنصة، أزاح مسلم وسيزار الحشد؛ ليكشفوا عن منظر بشع، السيدة كارمليتا جارسي، نائمة على الأرض، مصابة في جانب صدرها الأيمن برصاصتين، وبجوارها ثلاثة زهور جوري، كان المنظر بشع جدًا.

أزاح " سيزر مارتن الجميع؛ ليخلي ساحة الجريمة، وأرسل خبر إلى الشرطة، أغلق مسلم جميع الأبواب الخاصة بالقاعة؛ حتى لا يخرج أحد، وأعاد استخدام كشف الدخول بأسماء الجميع ليتأكد من عدم هرب أحد، بعدما تأكد من حضور الجميع، توجه إلى جانب" سيزار مارتن " الَّذي كان يحملق في الجثة، سأله وقال :

- ما الأوضاع؟

- الجثة أُصيبت برصاصتين في جانب صدرها الأيمن، تم غلق الضوء؛ ليشوشوا على مسامعنا، ليس قاتل واحد بل هم اثنان أو أكثر.

- القاتل كان قريب جدًا منها، وأغلق الضوء من أجل شيئ واحد وهو شل حركتها، فبطبيعة أي إنسان حالما ينقطع الضوء يتصنم مكانه.

- أعلم هذا، وتم وضع زهور الجوري بجوارها، أي أن القاتل يعرفها حق المعرفة ويعرف أنها تحب هذا النوع من الزهور، وهذا الَّذي عرفته من طريقة تزيينها للمكان بهذه الأزهار ومن كلامها مع الفتاة " جاسي " .

- جاسي! نعم جاسي، تلك الفتاة الَّتي كانت تضمر لها الشر، وكانت أيضًا أقرب مكانة لها، هي والسيدة نيجوس والسيد لوبيز.

- وثلاثتهم حدثت معهم مشكلة وثلاثتهم كانوا على المنصة، فلا أحد من الأسفل كان سيطلق عليها ويصيبها مباشرة، ولو حدث ذلك كنت أنت سمعت صوت الرصاصة بقربك.

- إن القاتل حدد مكانها بالضبط، والآن يجب التحقيق مع ثلاثتهم.

- ما يحيرني هو أنهم جميعهم كانوا قبالتها، كيف أصيبت في جانبها الأيمن، إذا كانوا قبالتها ستصاب في الجانب الأيسر؛ لأن يسارها في مقابل يمينهم.

- يبدو أنها قضية صعبة، سنحقق وسنعرف.

****

في غرفة مجاورة في نفس القاعة، كان يجلس سيزار مارتن ومسلم والشرطة تملأ الغرفة، وفي المقابل يقف بريان لوبيز وزوجته ألمى لوبيز وتقف بجاورهم السيدة كانديلا نيجوس وبجوارها تقف جاسي.

بدأ " سيزار مارتن " يطرقع أصابعه ثم اعتدل في جلسته وقال :

- القاتل بينكم أنتم الثلاثة، وهذا شيئ مفروغ منه، وكلامي لا يقصدك يا سيدة لوبيز ، ثلاثتكم كنتم على خلاف مع الضحية، أليس كذلك؟

تحدثت جاسي وقالت :

- لا يا سيدي أنا لم أكن على خلاف مع سيدتي.

قطع مسلم كلامها وقال:

- جميعنا نعلم أنكِ تجادلتي معها ودفعتكِ في فناء المدرسة أخبرنا الكثير بهذا، واليوم كنتِ تضمرين لها الحقد.

صمتت تمامًا، فأتبع سيزار وقال:

- القاتل لم يكن وحيدًا بل معه شريك آخر، شريك قام بإغلاق الكهرباء.

صمت الجميع مجددًا فسأل سؤالًا آخر وقال :

- من أين سمعتِ صوت الرصاصة يا سيدة نيجوس؟

- لم أستطيع التحديد يا سيدي.

- وأنتِ يا سيدة جاسي؟

- وأنا كذلك يا سيد مارتن، لم أستطع التحديد.

- وبالبطع أنت كذلك يا سيد لوبيز.

فأومأ بريان لوبيز بالموافقة.

تحدث مسلم وقال:

- وأين كنتِ أنتِ يا سيدة لوبيز في ذلك الوقت؟ لم أركِ في القاعة؟

- كنت بالحمام.

همس مارتن في أذن مسلم وقال:

- حُلت القضية يا مسلم، ولكنني سأتركك لتعرف المجرم بنفسك.

نهض سيزار مارتن من مكانه وسحب ورقة بيضاء وقال:

- أريدكم أن تقوموا بالتوقيع هنا جميعكم.

شرعوا في التوقيع وحالما إنتهوا صاح مسلم في الشرطة وقال:

- إقبضوا على السيد والسيدة لوبيز حالًا.

- صفق سيزار مارتن بكلتا يديه وقال:

- أحسنت يا صديقي، هل تستطيع إخباري وشرح لهم كيف كشفت خطتهم الغير متقنة.

-أولًا عندما قابلنا السيد بريان لوبيز في بداية الحفل كان يفتح جاكته ولكن الآن يغلقه؛ لأنه يخفي السلاح تحته.

انقض رجال الشرطة على بريان لوبيز وفتحوا جاكته ووجدوا ما قاله مسلم تمامًا.

1

- ثانيًا، القاعة لا يوجد بها سوى حمام واحد فقط وهذا ما لاحظته، وأنتِ قلتِ يا سيدة ألمى لوبيز أنكِ كنتِ بالحمام ولكن من كان بالحمام هو المحقق " سيزار مارتن " وبما أن غرفة التحكم بالكهرباء بجوار الحمام فهذا سيسهل عمليتك.

- ثالثًا، ما لاحظته أن السيد بريان لوبيز أعسر عندما قام بالتوقيع، وهذا ما كنا لا نجد له تفسير، أنه إذا تم إطلاق النار من شخص يقف قبالتها بيده اليمنى؛ فستصيب الرصاصة جانبها الأيسر لا الأيمن، ولكن ما وجدناه هو أن الرصاصة كانت في جانبها الأيمن إذن تم إطلاق النار من قبل شخص أعسر.

1

صفق " سيزار مارتن " بقوة وقال:

- لقد أحسنت التفكير يا صديق، لقد تطورت كثيرًا.[2]

وتم حل جريمة زهرة الجوري.

(تمت بحمد الله)

١٤/٧/٢٠٢٤ ٢:٠٩ ص

[2]